أدب الحوار

الدكتـــور
سعـد بن نـاصـر الشـثري

تعليق سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ
مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء

كنوز إشبيليا
للنشـــر والتوزيـع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري، سعد بن ناصر
أدب الحوار./سعد بن ناصر الشثري؛ الرياض، ١٤٢٦هـ.
٥٤ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٥-٤٥-٧٠١-٩٩٦٠
١- الجدل ٢- الحوار في الأدب أ. العنوان
ديوي ٨٠٨،٨٠٢٦ ١٤٢٧/٢٥٨٣

رقم الايداع: ١٤٢٧/٢٥٨٣
ردمك: ٥-٤٥-٧٠١-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد:

فأصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة شيخنا الدكتور سعد بن ناصر الشثري حفظه الله، ألقاها في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض العامرة - حرسها الله - في غرة شهر ربيع الأول من عام ألف وأربعمائة وسبع وعشرين للهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد ألقيت هذه المحاضرة بحضور سماحة الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي - حفظه الله ورعاه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً - حيث قام سماحته بالتعليق على المحاضرة[(١)] ومما جاء في تعليقه حفظه الله:

استمعنا جميعا إلى محاضرة قيمة نافعة، محاضرة تحاكي حاجة العصر في هذا الزمن، وتقرن بين الواقع وبين ما دل عليه الشرع، محاضرة حري أن يعتنى بها، وأن يهتم بها، وأن تنشر وتقرأ في مدرجات الجامعات، ووثيقة تزود بها الطلاب والطالبات، لأن هذه المحاضرة بهذا الأسلوب الراقي المدعوم بأدلة الكتاب والسنة هي في الحقيقة وثيقة إسلامية هامة، تبين للمسلمين كيف التعامل مع مخالفيهم....).

---

(١) انظر تعليق سماحة المفتي ص(٤٦).

وحيث حاجة المسلمين الماسة لمعرفة أدب الحوار والمناقشة ؛ ولكثرة ما عم في هذا الزمن من حوارات ومناقشات مسموعة ومقروءة ؛ ولتبني بعض الجهات الإعلامية لحوارات ومناظرات قد يخلط فيها بين الحق والباطل، ويلبس فيها على الناس، كان لزاماً على المسلم سواء كان مناظراً أو مستمعاً أن يقف على آداب الحوار والمناظرة حتى يسلم في دينه، ولا يقع فيما حرم الله عليه، ولما كانت هذه المحاضرة قد حوت ما يفي بهذا الغرض، رغبت في جعلها رسالة تقرأ حتى يعم نفعها بإذن الله عز وجل، ففرغتها من الشريط، وخرجت شواهدها، وأردفتها بتعليق سماحة مفتي عام المملكة حفظه الله.

هذا، وإني لأرجو الله عز وجل أن يجزي شيخنا وسماحة المفتي خير الجزاء على ما قدما، وأن ينفعني بهذا العمل، وكل من ساهم في إخراجه، وأن يجعله خالصاً لوجهه سبحانه وأن يرزقنا جميعاً بره وثوابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

وكتبه

عبدالناصر بن عبد القادر البشبيشي

الرياض

صبح الخميس ١٤٢٧/٣/٢٨ هـ

نص المحاضرة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[١].

وبعد: فنتكلم في هذه المحاضرة عن أدب الحوار، فنحن بحاجة شديدة إلى معرفة أحكام الحوار، لأننا نتحاور في مجالسنا، نحاور غيرنا فيما يجد علينا من القضايا، وفيما نتكلم به من الأمور والمواضيع، سواء كان ذلك في مجالسنا، أو في محاضراتنا في الدعوة إلى الله جل وعلا، أو في غيره من الأعمال التي نتقرب بها إلى الله عز وجل، وحينئذ فنحن محتاجون أشد الحاجة إلى معرفة آداب الحوار، فالحوار ليس مقتصراً على المراكز التي تقام، بل الحوار يشمل

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان يفتتح بها النبي ﷺ خطبه ومواعظه، وللاستزادة انظر: رسالة خطبة الحاجة للألباني رحمه الله فقد خرج طرقها وعلق عليها.

المناقشات التي تكون بين اثنين في مجالسهم، والحوار يشمل كذلك المناقشات التي تكون في أثناء الدعوة إلى الله عز وجل عندما تلتقي مع شخص عنده فكرة مخالفة للشرع سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأخلاق، أو في العبادة، تريد أن تناقشه، وأن تبعد ما في ذهنه من فكر سيئ، فلابد أن نلتزم بآداب الحوار.

إن الحوار في عصرنا الحاضر بدأ ينتشر، وبدأت تستجد له وسائل لم تكن توجد في السابق، وهذا يجعلنا نؤكد على التزام هذه الآداب الشرعية للحوار، ففي عصرنا الحاضر مثلاً نجد أن هناك وسائل عديدة قد استعمل فيها الحوار، منها: الصحف التي يتناقش فيها الكتاب، ومنها المواقع الإلكترونية، ومنها أيضاً القنوات التلفزيونية التي توجد فيها محاضرات ومناقشات ومناظرات، وكذلك ما في الإذاعات من حوارات، وهكذا أيضاً في المجالس، واللجان، والمجامع العلمية، كلها مبنية على المناقشة والحوار، فكل منهم يبين ما يراه، ويبين دليله وبعد ذلك يتناقشون في مذاهب بعضهم ويحاور بعضهم بعضاً في ذلك، وحينئذ فلابد من جعل الحوار في هذه الوسائل جميعاً مبنياً على الضوابط الشرعية، حتى يكون هذا الحوار على وفق شريعة الله، وحتى يكون مفيداً، ومنتجاً للنواتج الطيبة التي يرغب فيها الشرع.

ما هو الحوار؟:

الحوار في اللغة مأخوذ من الفعل حار بمعنى رجع[1]، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] يعني ظن أن لن يرجع إلى الحياة، وقد

(١) انظر مادة (حور) في لسان العرب(٤/ ٢١٧) ومختار الصحاح ص(٦٧).

ذكر الله عز وجل في سورة الكهف قصة المتحاورين اللذين ذكر الله من شأنهما ما ذكر في قوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

والحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه الجدال، ويستدلون عليه بقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] فسمى ذلك الجدال والمجادلة حواراً.

فالحوار مناقشة بين اثنين فأكثر في قضية مختلف عليها بينهم.

والحوار والمجادلة قد جاءت الشريعة ببيان مشروعيتهما، وببيان أنهما وسيلة إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فجعل المجادلة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، فهكذا الحوار.

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فنهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا إذا كانت هذه المجادلة بالحسنى، والاستثناء من النفي يكون إثباتاً، فكأنه قال: جادلوهم بالتي هي أحسن، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] وهذا فيه نوع مجادلة ومحاورة، ثم إن الله عز وجل قد حكى في كتابه العديد من المحاورات مع الذين كانوا في عهد النبوة، سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو المشركين، فإن الله جل وعلا قد حكى لنا العديد من هذه المحاورات والمناقشات التي تَرُدُّ على أفكارهم السيئة قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. [يس: ٧٨، ٧٩] وهكذا تتعدد الآيات في محاورة أصحاب مثل هذه الأفكار.

وحكى الله عز وجل في كتابه الكثير من المحاورات التي جرت بين الأنبياء عليهم السلام وبين أقوامهم.

كذلك كان رسول الله ﷺ يحاور من في عصره، سواء كانوا من أصحاب الديانات الأخرى كما في سورة آل عمران التي ذكر الله عز وجل فيها محاورة النبي ﷺ مع نصارى أهل نجران[1]، وكما في عدد من السور التي فيها بيان عدد من المحاورات مع المنافقين وغيرهم.

قال ابن القيم في فوائد آيات سورة آل عمران: ومنها: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم[2].

إذا تقرر هذا فإن النبي ﷺ لم يقتصر في محاورته على أصحاب الديانات الأخرى، بل قد حاور بعض أهل الإسلام الذين جاءوا يسألونه عن بعض الأمور التي ترد عليهم إشكالات فيها، لما جاءه رجل فسأله أن يأذن له في

---

(١) هذه المحاورة دلت عليها الآيات من صدر سورة آل عمران حتى بضع وثمانين آية منها، وانظر في ذلك: تفسير الطبري(٣/١٦١) وتفسير البغوي(٢/٥) وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٤٩) وتفسير القرطبي(٤/٣) وتفسير ابن كثير(١/٣٤٤) والدر المنثور (٢/١٤١).

(٢) انظر زاد المعاد(٣/٥٥٨).

الزنا، ناقشه وبين له حتى أبعد الشبهة التي وردت في نفسه[١].

وهكذا نعلم أن هذا المبدأ قد فعله النبي ﷺ فقد حاور في زمانه، حاور أصحاب الديانات، وحاور أصحاب الأفكار التي تكون مخالفة لشريعة الإسلام، ثم بعد وفاة النبي ﷺ استمر صحابته على منهجه فبدؤوا يحاورون أصحاب الديانات الأخرى، حاوروا الروم، وحاوروا الفرس، فدخل العديد منهم في دين الله عز وجل بأسلوب مقنع، وبحجة واضحة، ودليل تذعن له النفوس، وهكذا أيضا حاوروا أهل الإسلام من أصحاب الفرق التي عندها شيء من البدع والضلالات، فأهل التواريخ مثلاً ينقلون لنا محاورة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج عندما خرج آلاف منهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ورفع درجته، فأرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناقشهم، وحاورهم وكشف شبههم حتى عادوا إلى سبيل الحق، وإلى سماع

(١) كما عند أحمد(٥/٢٥٦) والطبراني في الكبير(٨/١٦٢) والبيهقي في الشعب(٤/٣٦٢) وذكره الهيثمي في المجمع(١/١٢٩) وقال رجاله رجال الصحيح. ولفظ أحمد: عن أبي أمامة قال: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ).

أوامر الخليفة، وطاعة ولاة الأمور، من طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(١)] ولازالت الأمة بعد عصر الصحابة توجد فيها المناقشات والمحاورات،

(١) أخرج هذه القصة أبو داود(٤٠٣٧) مختصراً، والنسائي في الكبرى(١٦٥/٥) والحاكم في المستدرك(١٦٤/٢) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤١٣/١٠) والبيهقي في الكبرى (١٧٩/٨) ولفظ الحاكم: ... حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف، أتيت علياً فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: أني أخاف عليك، قلت: كلا، قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، قال أبو زميل كان بن عباس جميلاً جهيراً، قال ابن عباس: فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما هذه الحلة؟ قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] قال ابن عباس: وأتيت قوماً لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثني عليهم، فمضى من حضر فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول، قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار، قالوا: ثلاثاً، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب، ولم يغنم، فلئن كان الذي قاتل كفاراً، لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم=

والمجادلات الفقهية، حتى يتمكن العلماء من الوصول إلى الحق، وبيان حكم الله عز وجل فيما يرد عليهم من المسائل والحوادث، وقد اعتنى علماء الإسلام ببيان حكم الحوار والمجادلة، واعتنوا كذلك ببيان الآداب والضوابط التي يجب أن يكون عليها الحوار والمجادلة، وذلك في كتبهم الأصولية، فإنهم عندما

=من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم، فقلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] فنشدتكم الله أحكمُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل؟ أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم، قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة؟ ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست أمنا، لقد كفرتم، فإن الله يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: اكتب يا علي، هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: لا والله ما نعلم إنك رسول الله، لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، أكتب يا علي «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله» فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلالة.

يبحثون في قوادح الاستدلال، والأسئلة الواردة على الاستدلال بالأدلة، يجعلون فصلاً خاصاً في أحكام الجدل، وآدابه، ثم إن طائفة من أهل العلم ألفوا مؤلفات مستقلة في هذا الفن في مسمى الجدل على طريقة الفقهاء، وقد اعتنيت بذكر العديد من هذه المؤلفات من خلال كتاب قوادح الاستدلال بالإجماع[١].

إلا أننا نجد أن بعض النصوص قد نهت عن شيء من ذلك، فجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ...»[٢] وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][٣].

فإذا تقرر ذلك، فما هو الفاصل والفيصل بين ما يكون جدالاً مشروعاً مرغباً فيه من الشرع، وبين ما يكون مراءً محذوراً ممنوعاً منه في الشرع؟.

نقول: إن الذي يلازم آداب الحوار والجدل، ويراعي الأحكام الشرعية المتعلقة به، يكون فعله محموداً مرغباً فيه مثاباً عليه، ومن لم يكن كذلك، ولم يراع الآداب الشرعية، والأحكام المتعلقة به، فإنه يكون مذموماً، وحينئذ

---

(١) هو من مؤلفات شيخنا الدكتور سعد الشثري حفه الله، وهو مطبوع متداول قامت بطباعته دار كنوز إشبيليا بالرياض.

(٢) أخرجه أبو داود(٤٨٠٠) والطبراني في الكبير(٨/٩٨) والبيهقي في الكبرى(١٠/٢٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي(٣٢٥٣) وابن ماجه(٤٨) والحاكم(٢/٤٨٦) واللالكائي في الاعتقاد (١/١١٤) والبيهقي في الشعب(٦/٣٤١).

فينبغي بنا أن نعرف ما هي الآداب التي جاء بها شرعنا فيما يتعلق بالحوار والجدال حتى يكون محموداً مأجوراً مثاباً.

إذاً ما هي الضوابط التي علينا أن نلتزم بها في الحوار؟:

من أول هذه الضوابط: إحسان النية والقصد، فننوي بمناقشاتنا الوصول إلى الحق، والتقرب لله جل وعلا، والتعبد له سبحانه وتعالى فنحن ندعو إلى الله بالحوار من أجل أن نحصل على الثواب الأخروي، من أجل أن يرضى عنا ربنا جل وعلا، وفي إحسان النية والقصد أجر عظيم، وثواب جزيل، فالأعمال إنما يثاب عليها بقدر النيات، كما قال النبي ﷺ: « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1] والدليل على وجوب إحسان القصد في مثل هذه المناظرات والمحاضرات قوله جل وعلا: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] فالنجوى وهي حديث بين اثنين قد يكون على جهة المحاورة، وهذه المحاورة يؤتي الله عليها أجراً عظيماً كل من فعلها ابتغاء مرضاة الله. فحينئذ نحاور نبتغي بذلك مرضاة رب العالمين، حتى نحصل على الأجر العظيم.

فمراد الإنسان العاقل بالمناقشة والحوار الوصول للحق كما قال الشافعي رحمه الله: (ما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الحق على لساني أو لسانه)[2] قال

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) انظر حلية الأولياء(١١٨/٩) وصفة الصفوة(٢٥١/٢).

ابن رجب رحمه الله: (وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه)[١].

ومن آداب الحوار في شريعة الإسلام: الحرص على الصدق، فلا يدعو الإنسان إلا إلى مبدأ يصدق فيه، ولا يستدل إلا بدليل يكون صادقاً فيه، فلا يكذب في مثل ذلك، فإن الكذب خلق مذموم جاءت الشريعة بالنهي عنه، والصدق خلق فاضل جاءت الشريعة بالأمر به، قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[٢] ومن صفات المنافق أنه «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»[٣]، وجاء في سنن الترمذي أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»[٤] وحينئذ نحرص في محاوراتنا ومناقشاتنا على أن نكون صادقين، وأن لا نتكلم إلا بما هو موافق للواقع، وأن لا نتكلم بأمر نعلم أنه مخالف للحق والواقع.

---

(١) انظر الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب ص(٩).

(٢) أخرجه البخاري(٦٠٩٤).

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري(٣٣) ومسلم(٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي(٢٥١٨) من حديث الحسن بن علي، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أحمد(١/ ٢٠٠) وأبو يعلى(١٢/ ١٣٢) والحاكم(٤/ ١١٠) والبيهقي في الكبرى(٥/ ٣٣٥).

* ومن آداب الشريعة في هذه الحوارات والمناقشات: أن لا يتكلم الإنسان إلا بعلم، فلا يقول شيئاً إلا وهو يعلم مستنده، ويعرف دليله، لئلا يكون ممن يتكلم بأمور لا يعرف الحق فيها، ولا يسندها إلى علم صحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل)[1].

وقد عاب الله عز وجل على الذين يحاورون في موضوع بدون أن يكون لديهم علم فيه قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦] ولهذا نهى الله عن اتباع الإنسان ما لا علم له به.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. خصوصا إذا كان ذلك فيما يتعلق بشرع الله ودينه، فإن نسبة الإنسان إلى الله جل وعلا حكماً، وهو لا يعلم نسبة ذلك الحكم إليه - سبحانه - هذا من أعظم الذنوب وأكبرها، قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، يعني لا يوجد أحد أظلم ممن يفترون على الله الكذب، وينسبون إلى الله ما لا تجوز نسبته إليه، قال الله جل وعلا: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] وحينئذ يحذر الإنسان من أن ينسب إلى شرع الله ما ليس متأكداً أنه من شرع الله، فإنه من أعظم الذنوب،

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل(٧/١٧٣).

ولما ذكر الله عز وجل رؤوس المحرمات جعل القول عليه بغير علم من هذه المحرمات العظيمة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، كما جعل سبحانه القول عليه بغير علم من تتبع خطوات الشيطان، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] وحينئذ يحذر الإنسان من الوساوس التي يلقيها الشيطان في قلبه فيجادل عنها ويتكلم بها، ويحاور من أجلها، هذا كله مخالف للشرع، وهو من عظائم الذنوب، قال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] فحينئذ يحذر الإنسان من مثل هذه الوساوس الشيطانية التي يجادل عنها.

* وإنَّ من أعظم الإثم، وكبائر الذنوب ما يفعله بعض أصحاب الوسائل الإعلامية من صحف وغيرها من نشر مقالات لأناس لا ينتسبون إلى علم شرعي، ينكرون فيه شيئاً من مبادئ الشريعة، أو شيئاً من الأحكام الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة، فلا شك أن هذا من عظائم الذنوب، ومن كبائر الإثم، وحينئذ نعلم أن من آداب الحوار في دين الإسلام عدم التعدي على مسلمات الشرع وثوابت الدين، فعندما يأتي إنسان ويناقض شيئاً من هذه المسلمات يجب علينا أن نقف ضد مثل هذه المقالات، ويجب علينا أن نتقرب إلى الله جل وعلا بإنكارها.

* **فمن آداب الحوار:** أن لا يتكلم الإنسان بما يخالف مبدأ شرعياً، وقد تواترت النصوص بالأمر بالتزام ما جاء به الشرع في كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ وعدم مخالفتهما، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

* إذا تقرر هذا فإنه إذا وقع بيننا خلاف في مسألة نتحاور فيها، فإن الواجب علينا أن نرجع إلى الأدلة الشرعية كتاباً وسنةً، لتكون الأدلة الشرعية هي الحكم بيننا كما قال جل وعلا: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال جل وعلا: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فحينئذ نعلم بأنه إذا حصل لنا شيء من الأمور التي نتنازع فيها ونتحاور فيها، فإنه يجب علينا أن نرد ذلك النزاع، وذلك الموضوع الذي نتحاور فيه إلى الأدلة الشرعية كتاباً وسنةً، فهي الحاكمة على ما بيننا من الحوادث، هذا هو شأن أهل الإيمان، وأما غيرهم فلا يحكمون هذين الأصلين العظيمين، فحينئذ يحذر المؤمن أشد الحذر من ترك التحاكم إلى كتاب الله، كما قال جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فأهل الإيمان إذا جاءهم شيء من النصوص سلموا به ولم

يناقضوه، ولم يدعوا إلى مقالة تخالف ما في كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] هذا هو شأن أهل الإيمان، وحينئذ إذا أراد الإنسان أن يقيس الإيمان لديه ويعرف ميزان نفسه بالنسبة للإيمان، فلينظر إذا ورده أمر إلهي من رب العالمين هل يبادر إلى امتثال أوامر الله؟ وهل يصدق ما جاء في الكتاب والسنة أو ينازع فيهما؟

* **ومن الآداب التي جاء بها الشرع فيما يتعلق بالحوار:** التواضع فيما بين المتحاورين، بحيث لا يفخر بعضهم على بعض، ولا يتكبر بعضهم على بعض، فإن الفخر والتكبر ليس من شأن أهل الإسلام، فإن النبي ﷺ قد قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» ثم فسر الكبر بأنه «**بَطَرُ الْحَقِّ**» يعني جحد الحق، «**وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١) يعني احتقارهم، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] وحينئذ فيحرص الإنسان على تجنب التكبر على من يناقشه ويحاوره، بل يتواضع معه، ويرفق به حتى يكون بذلك موصلاً إلى الحق، داعياً إلى الخير.

---

(١) أخرجه مسلم(٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس».

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي وهو حديث طويل.

* ومن الآداب التي جاء الشرع بالتزامها في الحوار: عدم الاعتداء على الآخرين بالكلام السيئ، بل الواجب على المؤمن إذا حاور غيره في دعوته إلى الله أو إلى شيء من شرائعه أن يخاطبه بالأسلوب الحسن، وبالكلام الطيب الهين الذي يجد طريقه ومسلكه إلى القلوب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] ومن الوصايا الإلهية للأقوام السابقين أن قال سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقد قال النبي ﷺ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[1] وحينئذ يحرص الإنسان على أن لا يتكلم إلا بكلام طيب، إلا بكلام تقبله النفوس خصوصا في محاورته التي يقصد بها الدعوة إلى الله، جل وعلا.

* ومن الأمور التي يجب علينا التزامها فيما يتعلق بمجادلتنا وحوارنا: أن لا نكون في حوارنا ومجادلتنا ممن يعين على الظلم، أو يعين الظالمين، بل يجب أن يكون المقصود بالحوار إيصال الحق إلى الخلق، وترغيب الناس في التزام شرع الله وطاعته، حتى نكون بذلك ممن أثيب على عمله أعظم الأجر والثواب، قال جل وعلا في قوم سرقوا في عهد النبوة فجاء بعض قرابتهم إلى النبي ﷺ يجادلونه فيهم، ويحاولون من النبي ﷺ أن يصرف هذه التهمة إلى غيرهم فأنزل الله جل وعلا قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩] وحينئذ فنحرص في مجادلتنا ومحاورتنا أن لا نكون ممن جعل هذه المجادلة والمحاورة في نصرة الظلم

---

(١) أخرجه البخاري(٢٧٠٧) ومسلم(١٠٠٩).

أو الظالمين، بل ينبغي أن نجعلها في سبيل نشر الحق والعدل بين الناس، ومن هنا فإن النصرة الحقيقية للظالم تكون بردعه عن الظلم كما قال النبي ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(١).

* **ومن الأمور التي جاءت الشريعة بجعلها أدباً نلتزم به في الحوار**: أن نلتزم جانب العدل فلا نظلم من نتحاور معه، سواء كان هذا الظلم بمقالة سيئة أو بنسبة خبر كاذب إليه، بل الواجب العدل مع من يخاصمنا ويحاورنا ولا شك أن العدل من المبادئ الشرعية التي وردت بها شريعتنا، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وقال جل وعلا: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وجاء في الحديث: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(٢) وحينئذ فالعدل خلق إسلامي فاضل قد جاءت الشريعة بالالتزام به في كل حياتنا، ومن ذلك أن نلتزم به فيما يتعلق بمحاضرتنا ومناقشاتنا ومجادلاتنا لغيرنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه، وهو المسفسط والمقرمط

---

(١) أخرجه البخاري(٢٣١٢، ٢٣١١) من حديث أنس ﷺ، ومسلم(٢٥٨٤) من حديث جابر ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم(١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم وهو المعرض عن النظر والاستدلال)[١].

* **ومن الأمور التي جاءت بها الشريعة أيضاً**: أن يلتزم المتحاوران المحبة بينهما فيحب كل واحد منهما الآخر مع اختلافهما في المسألة التي يتحاوران فيها، فإن الشريعة قد رغبت أهل الإيمان في أن يحب بعضهم بعضاً، يقول النبي ﷺ: **«لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»**[٢] وجاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول: **«وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ»**[٣] وفي الحديث الآخر: **«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»**[٤] وجاءت نصوص عديدة أيضاً ترغب في أن يحب المؤمنون بعضهم بعضاً.

ومن ذلك أن يحب كل واحد من المتحاورين وصول الخير لمحاوره والهداية للحق، يقول النبي ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[٥].

ومن الأخلاق الإسلامية التي رغبت بها الشريعة عموماً وفيما يتعلق بالمتحاورين خصوصاً: المعاملة بالحسنى، بحيث يعامل كل من المتحاورين

---

(١) انظر مجموع الفتاوى(٤/١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم(٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٥٣) أحمد(٥/٢٣٣) وابن حبان(٥٧٥) والطبراني في الكبير (٢٠/٨٠) والحاكم (٤/١٨٦).

(٤) أخرجه مسلم(٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري(١٣) ومسلم(٤٥) من حديث أنس ﷺ.

الآخر معاملة طيبة رقيقة فاضلة، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] وحينئذ فيحرص أهل الإيمان على أن يتعاملوا فيما بينهم بالمعاملة الحسنة، بالمعاملة الطيبة، حتى يكونوا بذلك ممن أثنى الله عز وجل عليه في الآية السابقة.

* **ومن الصفات التي ينبغي أن يلتزم بها المتحاوران**: الحلم فكل منهما يحلم على صاحبه بحيث لا يسرع في الرد عليه، أو في جوابه بحيث يطيش ذهنه، ولا يتمكن من الجواب خير جواب، وقد جاءت الشريعة في الترغيب في الحلم وبيان فضله قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**»[(1)] وحينئذ أيضا نحرص في مجادلتنا ومحاوراتنا على الرفق بمن نحاوره، وبمن نناقشه، فإن الرفق خلق إسلامي فاضل، يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[(2)] ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[(3)] فحينئذ يحرص الإنسان على أن يكون رفيقاً في معاملته مع محاوره ومجادله.

* كذلك يحرص الإنسان عند المحاورة والمجادلة على ترك الغضب، فلا يغضب

---

(١) أخرجه مسلم(١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم(٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم(٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

على المتخاطب معه، ولا يرفع صوته على جهة الغضب، فإن الشريعة قد نهت عن الغضب وحذرت منه، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»(١) قال ذلك ثلاثاً، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»(٢) فبيَّن ﷺ أنه لا يحمد الإنسان بسبب كونه قوياً شديداً عند الصراع مع الآخرين، إنما يحمد الإنسان إذا كان يمسك نفسه عند الغضب.

* ومن الأخلاق الإسلامية الواردة في مثل هذا أيضاً: أن المتحاورين إذا اعتدى أحدهما على الآخر فيستحب للآخر أن يصفح عن محاوره وأن يتجاوز عن خطئه، وأن يعفو عنه، فإن الصفح والعفو من الأخلاق الإسلامية التي قد رغبت فيها الشريعة، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٣] فبين الله جل وعلا أنه قد أعد لهذا الصنف جنات في يوم القيامة، وحينئذ فينبغي بنا أن نحرص على هذا الخلق الفاضل، فإن الأنبياء عليهم السلام هم قدوتنا، وكانوا على أعلى الدرجات من الصفح، انظروا كيف عامل النبي ﷺ الذين

---

(١) أخرجه البخاري(٦١١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري(٦١١٤) ومسلم(٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قاتلوه وحاربوه كيف عاملهم بالصفح والعفو[1]، وانظروا كيف عامل الله جل وعلا الذين حاربوا دينه، وحاربوا أنبياءه وشرعه بالعفو والصفح والتجاوز عما مضى، وانظروا كيف يعامل سبحانه عباده بالعفو والصفح متى تابوا إليه جل وعلا فالمقصود أن خُلق الصفح والتجاوز هو خلق الأنبياء عليهم السلام، جاء في حديث ابن مسعود ﷺ في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ**

---

(١) أما قصص عفوه ﷺ عمن آذاه فهي كثيرة جداً منها ما رواه البخاري(٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

ومنها عفوه عن أهل مكة يوم الفتح كما عند مسلم(١٧٨٠).

ومنها ما رواه البخاري(٤١٣٩) من حديث جابر قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ، ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١].

إذا تقرر هذا علمنا أن الصفح خلق إسلامي فاضل التزمه الأنبياء عليهم السلام فأورثهم الله جل وعلا المثوبة العظيمة في الآخرة، وأثابهم به أيضا رفعة الشأن في الدنيا، فإن الله جل وعلا قد أجرى سنة كونية في خلقه أنه من كان متصفاً بصفة العفو والصفح، فإن الله يرفع درجته ويعلي منزلته كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»[٢] وحينئذ فالتزام هذا الخلق الفاضل - خلق العفو والصفح في المناظرات والمحاورات - لا شك أنه يورث الخير الكثير ويورث رضا رب العالمين.

* **ومن الآداب التي ينبغي للمتحاورين التزامها**: أن يكون كلامهم بيناً واضحاً يفهمه كل من سمعه، فإن النبي ﷺ هكذا كان كلامه بيناً فصلاً يفهمه من سمعه كما وصفته عائشة رضي الله عنها[٣].

ومن الآداب الشرعية أيضا فيما يتعلق بالمحاورات: أن يحفظ الإنسان لسانه فلا يتكلم بكلمة تكون مغضبة لله جل وعلا، أو يتكلم بكلمة قبل أن يتروى فيها، وأن ينظر حكم الله فيها، هل هي موافقة للشرع أو مخالفة، فإن كل كلمة مخالفة للشرع يتكلم بها الإنسان فإنها مسجلة عليه، وسيحاسب بها يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري(٣٤٧٧) ومسلم(١٧٩٢).

(٢) أخرجه مسلم(٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود(٤٨٣٩) وابن أبي شيبة(٥/٣٠٠) ولفظه: «كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

ما لم يتب منها، أو يعفو عنه رب العالمين، جاء في مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١٢] فجميع أقوالكم وأفعالكم مسجلة عليكم وقد جاءت السنة ترغب في حفظ اللسان وعدم ابتذاله في الكلام الذي يكون مخالفاً للشرع أو يكون مسيئاً للآخرين، يقول النبي ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١) وجاء في حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»(٢) فحينئذ يحرص الإنسان على صيانة لسانه بحيث لا يتكلم بكلمة تكون فيها العاقبة السيئة دنياً وآخرة، وإنما يتكلم الإنسان بالكلام الطيب، بالكلام الموافق للشرع، بحيث يكون كل كلامه محسوباً له عند الله عز وجل في ميزان حسناته.

* ومن آداب المحاورات والمجادلات والمناقشات: أن يتثبت الإنسان في كلامه بحيث لا يقبل كلاماً إلا بعد أن يتثبت منه، ولا يتكلم بكلام إلا بعد أن يتثبت منه، جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»(٣) وجاء في الآيات القرآنية الأمر بالتثبت فيما يلقى إلى الإنسان ويُخبر به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] وحينئذ لا يتحدث

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٧٥) ومسلم(٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم(٥).

الإنسان إلا بحديث يثق منه، ويعرف صحته، وجاء في الحديث: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»(١) فحينئذ لا يتحدث الإنسان في محاورته ومناقشته، ولا يستدل بدليل إلا وهو يعرف صحته ويثق من ذلك الدليل الذي أورده.

* **ومن الآداب الشرعية أيضاً الواردة في الحوارات والمناقشات:** تجنب الفحش في القول بحيث لا يتكلم الإنسان إلا بكلام طيب، بكلام يسر سامعه فإن أهل الإيمان يجتنبون الكلام السيئ يقول النبي ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ وَلَا بِلَعَّانٍ وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ»(٢) وحينئذ فنحرص على اجتناب الفحش في أقوالنا.

* **كذلك يحرص الإنسان في محاورته ومناقشته:** على تجنب إساءة الظن بالآخرين بحيث لا يسيء الظن بمناقشه ومحاوره، وإنما يعامله على وفق ما يبدر منه، وما يظهر من حاله، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(٣).

* **وكذلك يحرص الإنسان في محاورته:** على اجتناب السباب فلا يسب محاوره فإن السباب مخالف لخلق أهل الإسلام، يقول النبي ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ

---

(١) أخرجه مسلم(١).

(٢) أخرجه أحمد(١/٤٠٤) والطبراني في الكبير(١٢/٢٣٥) و ذكره الهيثمي في المجمع (٨/٧٢).

(٣) أخرجه البخاري(٥١٤٢) ومسلم(٢٥٦٣).

فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[١] كذلك في محاورة الإنسان مع غير المسلمين يجتنب السباب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

* **كذلك يجتنب المؤمن في محاوراته ومناقشته**: السخرية بمحاوره فلا يسخر منه ولا يتكلم بكلمة يفهم منها احتقار محاوره، أو التنزيل من مقداره، يقول الله جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] فحينئذ يجتنب الإنسان السخرية، كذلك يجتنب اللمز قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فلا يشير إليه إشارة يفهم منها احتقاره، سواء كانت تلك الإشارة بيد أو بعين أو بغير ذلك من الأعضاء، وإنما يحرص الإنسان على أن يعامل محاوره المعاملة الطيبة، كذلك يحرص الإنسان في هذه المعاملة مع المحاور والمناقش أن يكون حسن الخلق فيعامله بأخلاق فاضلة طيبة، فإن الشريعة تأمر بإحسان الخلق يقول النبي ﷺ: «... **وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»[٢] وفي السنن: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»[٣] وجاء في الحديث: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[٤] وحينئذ فيحرص المؤمن على حسن الخلق، ومن ذلك إحسان الخلق مع محاوره ومناقشه.

---

(١) أخرجه البخاري(٤٨) ومسلم(٦٤).

(٢) هذا جزء من حديث سبق تخريجه ص(١٤).

(٣) أخرجه أبو داود(٤٧٩٨) وأحمد(٦/١٣٣) وابن حبان(٤٨٠) والطبراني في الأوسط(٦/٢٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي(٢٠١٨) وأحمد(٢/١٨٥) وابن حبان(٤٨٥).

*** كذلك من الأمور التي جاءت الشريعة بالتزامها في مثل هذه المحاورات:** أن لا يثني الإنسان على نفسه ويزكيها، وأن لا يتكلم بما فيه من صفات طيبة عن نفسه، فإن الله جل وعلا يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] فلذلك لا يزكي الإنسان نفسه.

*** كذلك يجتنب الإنسان:** الإعجاب بنفسه، فلا يعجب بنفسه أو بقدرته على الكلام، أو بما لديه من معلومات أو بغير ذلك، فإن الإعجاب بالنفس طريق إلى خذلان المرء بحيث يكل الله العبد إلى نفسه فلا ينصره، وقد قال جل وعلا: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

*** كذلك من الأمور التي ينبغي بالناس أن يحرصوا عليها في هذه المحاورات:** أن يضبطوا أنفسهم بحيث لا يتجاوزوا إلى حدود لم يسمح الشرع لهم بها، وإنما يحرصون على ضبط النفس، بحيث لا يتكلم الإنسان بكلمة تورثه أمراً سيئاً في دنياه وأخراه، فإن الانفعال في مثل هذه المحاورات والمناقشات تجعل الإنسان يتكلم بكلام لا يعرف عاقبته، وقد جاء في الحديث: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ»**(١) وحينئذ فيضبط الإنسان نفسه ولا يجعل التشويش المقابل له يتجاوز الحدود الشرعية التي وردت بها شريعتنا.

*** ومن الأخلاق التي وردت بها شريعتنا فيما يتعلق بمثل هذه المحاورات:** الصبر بحيث يصبر المتحاور على محاوره، لو تجاوز عليه في شيء من الأمور التي

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٧٧) ومسلم(٢٩٨٨).

لا يحق له التجاوز فيها، والصبر خلق إسلامي فاضل تواترت النصوص بفضله وبالأمر به، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وقال جل وعلا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

* **وكذلك من الأمور التي ينبغي بالمتحاور أن يحرص على الاتصاف بها:** أن يكون رحيماً يرحم المقابل له؛ لأنه يرغب أن يكون ذلك المحاور متصفاً بالخلق الفاضل والعقيدة الصافية، وحينئذ فهو يحاوره لا انتصاراً لنفسه، وإنما رغبة في الأجر الأخروي، ورحمة بذلك الشخص الذي يحاوره ليبعده عما هو فيه من أفكار سيئة أو أفعال رديئة، ولا شك أن النصوص قد وردت بالترغيب في رحمة الخلق، يقول النبي ﷺ: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ»**(١) ويقول ﷺ: **«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»**(٢) وقال ﷺ: **«مَنْ لَا يَرْحَمْ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»**(٣) وحينئذ فنلتزم بهذا الخلق الفاضل خلق الرحمة.

* **كذلك من الأمور التي جاءت الشريعة بالترغيب فيها في مثل هذه المحاورات:** الترغيب في بشاشة الوجه، ولقيا الناس بوجه منبسط ضاحك،

---

(١) أخرجه أبو داود(٤٩٤١) والترمذي(١٩٢٤) وأحمد(٢/١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري(٥٩٩٧) ومسلم(٢٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري(٧٣٧٦) ومسلم(٢٣١٩).

يقول النبي ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[١] ويقول ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[٢] وحينئذ يحرص الإنسان على الالتزام بهذا الخلق الفاضل.

* كذلك من الأمور التي جاءت الشريعة بجعلها أدباً في المحاورات: عدم نشر ما يرد في هذه المحاورات من أفكار سيئة أو أقوال رديئة، فإن بعض الناس إذا وجد شيئاً من الأقوال السيئة في هذه المحاورات نشرها، وتكلم بها، ووسع الخلاف فيها، بخلاف أهل الإيمان الذين ينصحون ولا يفضحون، وكذلك بعض وسائل الإعلام في ملتقيات الحوار تحرص على انتقاء الكلام الرديء الذي لا يكون محموداً وله عواقب سيئة فينشرونها ويبثونها، سواء كان ذلك النشر في صحف أو في إنترنت، أو في غيره من الوسائل الحديثة أو القديمة، ولا شك أن هذا مخالف للخُلق الفاضل الذي جاءت به الشريعة، فإن الشريعة قد أمرت بستر العيوب، وعدم إظهارها، يقول النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[٣] وجاء في حديث أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي(١٩٩٦) وابن حبان(٤٧٤) والبزار(٩/٤٥٧) والطبراني في الأوسط(٨/١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم(٢٦٢٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه(٢٥٤٤) وأحمد(٤/١٠٤) وعبد الرزاق في المصنف(١٠/٢٢٨) وذكره الهيثمي في المجمع(٦/٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود(٤٨٨٠) وأحمد(٤/٤٢٠) وأبو يعلى(٣/٢٣٧) والطبراني في الأوسط (٤/١٢٥) والبيهقي في السنن الكبرى(١٠/٢٤٧).

* **ومما يتعلق بهذا:** أنه بعد المحاورات، أو أثناء المحاورات يجتنب الإنسان الكلام السيئ في غيره سواء كان ممن يحاوره، أو كان ممن لم يحضر تلك المحاورة، فبعد المحاورة لا يتكلم بكلام سيئ في محاوره، ولا يغتابه، ولا ينشر معايبه، فإن الكلام في معايب الآخرين من الغيبة المحرمة شرعاً التي يقول فيها سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ فسر الغيبة فقال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**" قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**"، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[1] وحينئذ فيجتنب الإنسان الغيبة بالكلام بمعايب من يحاوره أو بمعايب الناس الذين لم يحضروا تلك المحاورات.

وإن من أعظم أنواع الغيبة، أن يغتاب الإنسان علماء الشريعة، وأن يقدح فيهم وأن يتكلم فيهم خصوصاً في مثل هذه المحاورات، أو في مثل هذه المناقشات والمجادلات، أو فيما بعدها، فإن الكلام في علماء الشريعة من عظائم الذنوب، لأنه يؤدي إلى مناقضة مقصود الله سبحانه وتعالى في رفعة مكانتهم وعلو منزلتهم كما قال جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] والحديث فيهم والكلام فيهم يؤدي إلى عدم الثقة بهم، ويؤدي إلى عدم الرجوع إليهم في مثل ما يحصل للناس من

---

(١) أخرجه مسلم(٢٥٨٩).

مسائل شرعية، وهذا مناقض للنصوص الشرعية الواردة بالأمر بمراجعتهم وسؤالهم عما يشكل على الإنسان، قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] وقال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

*** ومن الآداب الإسلامية التي وردت في مثل هذه المحاورات والمناقشات:**
حسن الاستماع لمن يكلمك، ويخاطبك، ويحاورك، ويناقشك، فإن هذا خلق إسلامي رفيع، فقد كان النبي ﷺ إذا أتاه من يناقشه استمع إليه وانصت لكلامه حتى يفرغ من حديثه ثم أجابه، ومن أمثلة ذلك أنه اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبتها، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة[1] قط أشأم على قومه منك، فرقت

---

(١) السَّخْلَة: ولد الشاة، والسخل المولود المحبب إلى والديه، وهو في الأصل ولد الغنم. انظر النهاية(٢/ ٣٥٠) ولسان العرب(١١/ ٣٣٢).

جماعتنا، وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقول بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش ونزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، فقال رسول الله ﷺ: أفرغت؟ قال: نعم، فقرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣] فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا وقد كلمته به قالوا: فهل أجابك؟ قال: لا، والذي نصبها بَنِيَّةً[١] ما فهمت شيئاً مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)[٢].

فهكذا تلاحظ أنه لما جاء إلى النبي ﷺ يحاوره في دينه، ويبين له ما ترتب على دعوته إلى دين الإسلام من أمور يظنها مفاسد من التفريق بين الوالد والولد، وجعل ذلك تسفيها لدين الآباء والأجداد قال النبي ﷺ: «أو قد قضيت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، فالنبي ﷺ استمع له وأنصت له حتى أكمل كلامه كله، فلما قضى كلامه قرأ عليه أوائل سورة فصلت، فكان ذلك سبباً في تغيير شيء من موقفه.

---

(١) يعني: بناء الكعبة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١/٧) و أبو يعلى في مسنده (٣٥٠/٣) والحاكم في المستدرك (٢٧٨/٢) والبيهقي في الشعب(١٥٧/١) والأصبهاني في دلائل النبوة ص(١٩٤) وانظر تفسير الطبري(١٥٦/٢٩) وتفسير ابن كثير(٩١/٤) والسيرة لابن هشام(٢٩٣/١).

* **ومن الآداب الشرعية التي يحسن التزامها في المحاضرات والمناقشات:** عدم التعصب، فلا يتعصب الإنسان إلى شخص أو إلى رأي، بل إنما يبين قوله، ويبين دليله بأوضح حجة، فلا يكون مراده تعصباً لشخص أو انتصاراً له في مقابلة الحق، وإنما يعرف الحق من خلال دليله ولا يعرف الحق من خلال المتكلمين الذين يتكلمون، فالمقصود أن التعصب لمبدأ، أو لفرقة أو لرأي، أو لشخص يجعل الإنسان يبتعد عن الآداب الشرعية الواردة في مثل هذه المناظرات.

* **ومن الأمور الشرعية المتعلقة بهذا:** أن يكون الإنسان في محاورته ومناقشته مركزاً على الرأي، فإذا أراد أن ينقد فكرة أو رأياً فينبغي به أن يعرض لذلك الرأي ويبين مخالفته للشرع بدون أن ينسبه لقائله، لئلا يورث ذلك تعصباً لذلك الشخص أو لتلك الفرقة.

مثال ذلك: عندنا فرقة ضالة مخالفة للشرع وعندهم شبهة فعندما نناقش تلك الشبهة لا ينبغي أن ننسب تلك الشبهة إلى قائلها، وإنما نورد الشبهة ونقول: هذه الشبهة مخالفة للشرع، مخالفة لقوله تعالى، ولقول النبي ﷺ، هكذا بدون أن ننسبها إلى قائلها، لئلا يكون ذلك سبباً في جعل الخصم يتعصب لذلك القائل، ومن ثم يلتزم تلك البدعة المخالفة للحق والمخالفة للأدلة تعصباً لشيخه أو لفرقته، وإنما نريد أن نبعد ذلك التفكير السيئ، وذلك المعتقد المخالف بدون أن نورث تعصباً في أنفس الناس يجعلهم لا يقبلون الحق.

* **ومن الأمور المتعلقة بهذا:** أن يختار الإنسان الألفاظ الطيبة المحببة إلى النفوس بحيث يرد كلامه إلى نفس مستمعه مباشرة، ولا يورث ذلك صداً له عن تقبل الحق.

* **ومن الأخلاق الشرعية الواردة في مثل هذه المناظرات:** أن يبدأ الإنسان مناظرته بحمد الله تعالى، والثناء عليه والصلاة على نبيه ﷺ وسؤاله الاستعانة كما كان النبي ﷺ يقول في خطبه: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه[١]، فيستعين المرء بربه جل وعلا في كل أموره وخصوصاً في معرفة الحق، وفي الهداية إليه، وفي الدعوة إليه وفي جعل الناس يقبلون ما لديه من حق، ليكون بذلك ممن دخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] فإن الثناء على الله جل وعلا واستعانته سبحانه، لها أثر عظيم، وقد ورد في بعض الآثار (أن كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر)[٢] يعني أنه مقطوع لا يتحقق مقصود صاحبه منه.

* **ومن الأمور والآداب الشرعية المتعلقة بهذا:** أن يجتنب الإنسان كثرة الحديث بما لا فائدة فيه، ويقتصر في حديثه على ما يحقق المصلحة ويحقق إقناع محاوره ومناقشه، «**وِمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[٣] وأما الثرثرة والكلام الزائد الذي لا يستفاد منه فيجتنبه الإنسان، وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ

---

(١) هذا صدر الخطبة التي كان يفتتح بها النبي ﷺ خطبه ومواعظه، وهي المعروفة بخطبة الحاجة، انظر نصها ص(٧).

(٢) أخرجه أحمد(٢/٣٥٩) وابن ماجه(١٨٩٤) وابن حبان(١) والطبراني في الكبير(١٩/٧٢) والبيهقي في الكبرى(٣/٢٠٨) وذكره العجلوني في كشف الخفاء(٢/١٥٦) وقال حسن.

(٣) هذا نص حديث أخرجه الترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨) وابن ماجه(٣٩٧٦)، وأخرج أحمد (١/٢٠١) من حديث الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه»**.

قال: «وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»[1]، فيجتنب الإنسان هذا الخلق الذي حذرت منه الشريعة.

* **ومن الآداب الشرعية في مثل ذلك:** أن يحرص الإنسان على الرغبة في اتباع الحق، فهو إنما يدعو إلى الحق ويرغب في الحق حتى يكون بذلك من الداعين إلى دين الله الداخلين في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] وقد جاء في النصوص عنه ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[2] وقوله ﷺ: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[3] وجاء في الحديث: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[4] فالمقصود أن الإنسان يحرص على اتباع الحق في مثل هذه المناظرات، ويحرص على معرفة الحق، سواء كان ذلك الحق ظاهراً من عنده، وخارجاً مما لديه، أو كان من عند مقابله، والمتحاور معه.

* **ومن الأمور التي ينبغي بنا أن نحرص عليها في مثل هذه المحاورات:** أن لا نؤذي غيرنا، سواء كان محاوراً لنا أو كان غير محاور، فإن الإيذاء بالأقوال من

---

(١) هذا جزء من حديث سبق تخريجه ص(٣٠).

(٢) أخرجه مسلم(٢٦٧٤).

(٣) أخرجه أبو داود(٥١٢٩) والترمذي(٢٦٧٠) وأحمد(٥/٢٧٤).

(٤) أخرجه البخاري(٢٩٤٢) ومسلم(٢٤٠٦) من حديث سهل ابن سعد ﷺ وهو حديث طويل فيه قصة.

الأمور المحرمة، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] ويقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١) فلا يتكلم الإنسان بالقدح في المقابل له، ولا يصفه بأوصاف رديئة سيئة، ولو كان متصفاً بها حقيقة؛ لأن المراد ليس القدح في المقابل لنا والمحاور لنا، وإنما المراد إيصال الحق له.

* **وهنا مسألة متعلقة بهذا**، وهي أنه في مثل هذه المحاورات والمناقشات قد يكون المقابل لنا ممن لا تهنأ وتقنع نفسه بإظهار الموافقة في الحال فليكن مقصودك إيصال الحق إليه، وتعريفه بدين الله، وبشريعة الله، فإذا أوصلت إليه ذلك فإنه حينئذ قد انتهى دورك وواجبك، أما هدايته وإلزامه بالحق فهذا ليس من شأنك وليس مما تطالب به شرعاً، فإن الهداية بيد الله يهبها من يشاء، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وحينئذ فمقصودنا إرضاء رب العالمين من خلال إيصال الحق إلى المحاور لنا، وأما التزامه به فقد لا نتمكن من إلزامه به وإنما نقنع بإيصال الحق إليه، لأنه قد يأخذه التعصب وتأخذه العزة بالإثم بحيث لا يتمكن من إظهار الحق، ومن إظهار الموافقة على ما لديك من صواب وإنما تكتفي بإيصال الحق إليه.

هذه آداب شرعية جاءت شريعتنا بالترغيب فيها في سائر حياتنا، وفيما يتعلق بالحوار وبالنقاش بخصوصه حتى تكون حواراتنا ومناقشاتنا بمقتضى الأدب الشرعي فيتحقق بذلك التزام شرع الله جل وعلا، ويتحقق بذلك أيضاً الالتزام

---

(١) أخرجه البخاري(١٠) ومسلم(٤١).

بالعقيدة الصافية، فنستطيع بذلك إبعاد البدع والخرافات من حياة الناس، ونستطيع بذلك أيضاً إبعاد العقائد الفاسدة والديانات المخالفة للحق، ونستطيع بهذه المحاورات والمناقشات أيضاً أن نجعل الناس يلتزمون بشريعة الله سبحانه وتعالى في سائر حياتهم، فيكونون بذلك ممن أخلصوا دينهم لله، ويكونون بذلك ممن وافقوا في جميع حياتهم شريعة الله فينطبق عليهم قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣، ١٦٢].

فهذه بعض آداب الحوار التي جاءت الشريعة بترغيب المسلمين بالالتزام بها، ولكني أنبه إلى أمور مهمة متعلقة بالحوار منها:

* **أولاً**: أن الحوار ينبغي أن لا نجعله وسيلة للأمور المخالفة للشرع، ومن أمثلة ذلك أن يجعل الحوار وسيلة للتنازل عن الحق الذي عند الإنسان، أو عن بعض الحق الذي لدى المحاور باسم التقريب بين المتحاورين، فالحوار المراد به أن يظهر كل إنسان ما لديه من أقوال ومذاهب، ثم يستدل على ذلك، ثم يبين وجه القدح في دليل خصمه، ثم بعد ذلك يبين الجواب عن الاعتراضات الواردة عليه، هذا هو المراد بالحوارات التي يرغب فيها الشرع، ويترتب عليها التمييز بين الحق والباطل، ولكن بعض الناس يدعو إلى حوار يريد به أن يترك أهل الحق بعض الحق الذي معهم، ولاشك أن هذا خطر ومخالف للشريعة، فإن الشريعة قد أمرت بالتزام الحق، والسير عليه، فحينما يدعونا داع إلى ترك بعض الحق بأي اسم فإننا لا نستجيب لدعوته، لأن هذا مخالف للنصوص الشرعية الواردة بالتزام الحق والسير عليه.

* ثانياً: أن بعض الناس يجعل الحوار وسيلة لتحقيق مطالبه وما يرغب فيه، سواء كانت هذه المطالب لشخصه، أو لطائفته، وإنما الواجب أن يجعل الحوار لمناقشة الأفكار والآراء، بحيث يتبين الحق فيها من الصواب، أما أن يجعل الحوار منتقلاً عما قصد به من بيان الحق إلى بيان المطالبات وما يرغبه المشاركون في مثل هذه المحاضرات هذا خروج بالحوار عن المقصود به.

* ثالثاً: أن لا تكون الحوارات وسيلة إلي التكتلات والتجمعات، بحيث يجتمع أصحاب المقالات المتنوعة ليكونوا حزباً واحداً ضد أصحاب الحق، فأنا أؤيد هذا الرأي في كونه قد جاء به فلان لمجرد التعصب له، أو تجعل لقاءات الحوار فرصة لجعل بعض أهل المبادئ والأفكار يتحزبون فيما بينهم، فيوافق أهل الشرق أهل الغرب في بعض أمورهم باسم ما يدعى بالحوار من أجل القضاء على الحق أو محاربته أو محاربة أهله.

* رابعاً: الحذر من إدخال التلبيس في هذه الحوارات بحيث يدخل بعض المتكلمين حيلاً في القول ومغالطات لا تكون أموراً حقيقية، وإنما هي من باب التلبيس على الناس، فإن الباطل لو جعل وحده لم يرج على الناس، وإنما يقوم أهل الباطل بتلبيس باطلهم ثوباً من الحق ليروج على الناس، ولذلك قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] وحينئذ فنحذر من أولئك الذين يلبّسون، سواء كان من هذا التلبيس إدخال رأي في رأي، وإدخال مسألة في مسألة، بحيث يظن الإنسان أن المسألتين متلازمتان ومن ثم يلزمه إذا قال في مسألة بحق، أن يقول في المسألة الأخرى بباطل فيها، ومن ثم يقع في إشكال عظيم وحرج عظيم، وهذا يقع في كثير من

مسائل العقائد يظن بعض الناس أن مسألتين متلازمتان، وأن من قال بقول في الأولى يلزمه أن يقول بقول في المسألة الأخرى، ولا يكون هناك تلازم أصلاً بين المسألتين.

* خامساً: أن يحرص الإنسان على تحرير المصطلحات التي يتكلم بها في مثل هذه الحوارات فإن الناس قد يتكلمون بالكلمة ويكون مقصود الناس فيها مختلفا متنازعا بحيث يظن طائفة أن المراد بها شيء، ويظن آخرون أن المراد بها شيء، ومن ثم يقع اللبس والخطأ في مثل هذه الحوارات، ومن أمثلة ذلك مثلاً لفظ: (الإرادة التي يوصف بها رب العزة والجلال) قد يتكلم بها الإنسان ويخلط فيها فيتردد الفهم فيها بين أن يقصد بها الإرادة الشرعية، أو يقصد بها الإرادة القدرية، فيوقع الناس في لبس فيؤدي ذلك إلى نفي القدر أو يؤدي ذلك إلى عدم الالتزام بالشرع ظناً أن الإرادتين متلازمتان ولا يكون الأمر كذلك.

* سادساً: يحسن بأهل الحوار أن ينتقوا الموضوع الذي يتناقشون فيه بحيث يعود عليهم ذلك النقاش بما يفيدهم في الدنيا والآخرة، ويجتنبوا الموضوعات التي لا يستفيدون من الحديث فيها، فقد ورد في السنن أن النبي ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»(١) ومن هنا فالعقلاء يجتنبون هذه الحوارات العقيمة غير المفيدة، ومن ذلك التحاور فيما يتعلق بأعمال الآخرين مما لا علاقة له بالمتحاورين لئلا يدخل في الغيبة المحذر منها شرعاً؛ وفي السنن أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ

(١) سبق تخريجه ص(٣٨).

وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(١).

* سابعاً: أن يحذر الإنسان من تلك الحوارات التي تعرض في بعض القنوات بحيث يتكلم اثنان كلاهما بعيد عن منهج الحق ليشككوا في عقائدهم، أو يرغبوهم في الأخلاق السيئة بدون أن يكون هناك متكلم بالحق أو داعٍ للفضيلة، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] ومن ذلك جعل المدافع عن الحق ضعيف حجة غير قادر على البيان والمجادلة.

* ثامناً: أن يحذر الإنسان في مثل هذه المحاورات من المغالطات التي تكون في أساليب الحوار فإن ترتيب الأدلة له وسائل وطرق يعرفها أهل العلم فعندما لا يكون الإنسان عارفاً بهذه الطرق التي تركب بها الأدلة قد يوقعه ذلك في التسليم بأشياء لا يكون التسليم بها صواباً، وأهل العلم يمثلون لذلك بقولهم: يقول القائل: العلماء فقراء، وأنا فقير، فالنتيجة: أنني عالم لأنني فقير، هذه نتيجة خاطئة؛ لأنها قد ركبت من مقدمتين لا يلزم منهما أن تنتج هذه النتيجة، فالمقصود أن يحذر الإنسان من مغالطات أهل الحيل التي يوردونها على الناس

---

(١) أخرجه أبو داود(٤٨٧٨) وأحمد(٣/٢٢٤) والبيهقي في الشعب(٥/٢٩٩) والطبراني في الأوسط(١/٧) من حديث أنس ﷺ.

بحيث يركبون دلائل لا يصح تركيب بعضها على بعض، ومن ثم ينتج عن ذلك نتائج غير واقعة ولا صحيحة.

فالمقصود أن الحوار والمناقشات والجدل علم مستقل اعتنى به علماء الشريعة ووضحوا طرائقه، ووضحوا أساليبه، ووضحوا حكمه، ووضحوا ضوابطه، ووضحوا آدابه، فيحسن بأهل الإسلام أن يراعوا هذه الضوابط وأن يتعلموا هذا العلم ليكونوا في حديثهم ومناقشاتهم وحواراتهم منطلقين على أسس شرعية، فيرضون رب العالمين بذلك وينشرون الحق ويجعلون الناس يلتزمون بشريعة الله جل وعلا في سائر أمورهم .

أسأل الله عز وجل للجميع التوفيق لخيري الدنيا والآخرة وأساله سبحانه أن يجعلنا ممن التزم بضوابط الشريعة وآدابها، كما أسأله جل وعلا أن يصلح أحوال الأمة، وأن يردهم إلى دينه رداً جميلاً، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين لكل خير، وأن يجعلهم أسباب هداية ورحمة وصلاح للناس أجمعين، هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * * * *

تعليق سماحة الشيخ/

عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

ففي هذه الليلة المباركة مساء يوم الأول من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة الثاني من ربيع الأول استمعنا جميعا إلى محاضرة قيمة نافعة، محاضرة تحاكي حاجة العصر في هذا الزمن، وتقرن بين الواقع وبين ما دل عليه الشرع، محاضرة حري أن يعتنى بها، وأن يهتم بها، وأن تنشر وتقرأ في مدرجات الجامعات، ووثيقة تزود بها الطلاب والطالبات، لأن هذه المحاضرة بهذا الأسلوب الراقي المدعوم بأدلة الكتاب والسنة هي في الحقيقة وثيقة إسلامية هامة، تبين للمسلمين كيف التعامل مع مخالفيهم، سواء كان المخالف من إخوانهم المسلمين الذين ضلت أفهامهم بعض الشيء، ودخلت عليهم من الأمور التي التبس فيها الحق بالباطل، وخفي الحق عليهم فهم بحاجة إلى من يبصرهم ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، أو كان الجدال والحوار مع غير المسلمين ممن يجهلون الإسلام وتعاليمه ومبادئه، فهؤلاء يعلمون بالحكمة، أو كان من قوم أهل عناد وجدال ومراوغة فيجادلون بالتي هي أحسن وتوضح الحقائق أمامهم، وتوصل المعلومات إلى نفوسهم حتى تقوم عليه حجة الله وقد أخبر الله أن الحكمة من بعث رسله إقامة الحجة على العباد، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

أيها الإخوة عنوان المحاضرة أدب الحوار، وقد أتى الشيخ في هذا الباب بما لا مزيد لمتكلم أن يتكلم، ولا لقائل أن يقول، فاستوفى المقام حقه، وأتى على كل نقطة من نقاط البحث بما يشفي ويكفي فجزاه الله عن هذا الإعداد وهذا الإلقاء خيراً.

أيها الإخوة نحن في زمن نسمع الحوار والجدال ونسمع إقامة ندوات للحوار والجدال مع المخالف، ونسمع أحياناً ماذا يدور في هذه المنتديات والمحاضرات، وماذا يكون من المداخلات، وماذا يبرز فيها من آراء وأفكار قد تراها أحيانا متباينة، وتراها مختلفة، وترى الجدل والقيل والقال حول ما يقال، وإذا علم المسلم أن الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال وأعلى الدرجات، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فالدعوة إلى الله من أشرف الخصال وأفضلها وأعلاها مقاماً، مقام الأنبياء والمرسلين، الداعي إلى الله إذا كان على علم وبصيرة بحقيقة ما يدعو إليه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقد أخبر الله عن الرسل ومناظرتهم لقومهم فهذا إبراهيم عليه السلام قص الله علينا من مناظرته لقومه، وجداله لهم ما الله به عليم، كما في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤] وما بعدها من الآيات ليقرر لهم توحيد الله ويبطل الشرك والتنديد، ويقيم التوحيد على المبدأ الصحيح، وهذا نوح يقول له قومه: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وهكذا الأنبياء والمرسلون جادلوا عن الحق، ودافعوا عن الحق، وجادلوا أهل الباطل وأقاموا

حجة الله عليهم، وأوضحوا لهم المحجة، وجلّوا الأمور أمامهم، هدى الله من هدى فقبل الحق، وأضل الله من أضل فعمي عن الحق، وهؤلاء هم المنافقون في العهد المدني، في حياة النبي ﷺ والقرآن ينزل، والنبي حي ينزل عليه القرآن ويعمل به هو وأصحابه الكرام، وأولئك المنغمسون في النفاق معه يسمعون ويدركون، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦] فأعمى الله بصائرهم، وأضل أفهامهم، وختم على قلوبهم فما نفعهم الحق، وما اهتدوا به، وهم بين النبي وبين أصحابه المصدقين الآمنين بشريعته، فلم تؤثر فيهم المواعظ، ولم يؤثر فيهم الجدل، والقرآن هتك أستارهم وكشف غايتهم، وأوضح سبيلهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

إن جدالك مع غيرك يجب أن يكون هدفه - كما أشار الشيخ - إيصال كلمة الحق لمن كان جاحداً بها، وتوضيح الحق وإزالة الشبه عمن كان معانداً، لكن ندعو بحكمة، فليس المهم أن أدعيه فيرتفع صوتي، وليس المهم أن أفرح بالجدل، وليس المهم أن أحرص على أن أكون الغالب دون غيري فالله جل وعلا قد ضمن لأوليائه العزة والرفعة قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] لكن إذا صدقت النية

وحسنت الغاية، وكان المجادل دخل المجادلة لا لينهزم أمام الآخرين، ولا ليتنازل عن حق ثابت هو مؤمن به ومقتنع به، ولكن دخل الجدال ليقول للآخرين: هذا دين الله، هذا كتاب الله، هذه سنة رسول الله، يجادل بالنقل الصحيح والعقل الصريح والفهم والإدراك، لا ينهزم أمام الأعداء ولا ينخدع بزخارفهم، ولا يهمه كثرة غلطهم، وإنما يبين الحق الذي يحمله، ويوضح الشرع الذي يسلكه، وينشر دين الله، فيهدي الله من يشاء، ويضل من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فإن تولوا عن المناظرة، وتولوا عن الجدال، وصموا عن قبول الحق، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، فلسنا منهزمين أمامكم، ولا خاضعين لأفكاركم، ولا مستسيغين لباطلكم، إنما نجادلكم لنقيم حجة الله عليكم، ونوضح لكم الحق، ولكن يكون بأدب وحكمة، ورفق وحلم وأناة، حتى يفهم من أراد الله أن يفهمه، ومن صرفه الله عن الهدى فلا هادي له.

لقد اتخذ الحوار أقوام من بعض أبناء المسلمين أرادوا من خلاله تمويه الشريعة الإسلامية، وأرادوا من خلاله الطعن في أخلاق الإسلام، وأرادوا من إثرائه وإقامته الدعوة إلى التفسخ من القيم والأخلاق، فتتفوه ألسنتهم بالباطل ويرون ذلك حواراً، لا، الحوار مع دعاة الخير، ودعاة الهدى الذين أتوا ليقيموا شرع الله ويوضحوا المنهج المستقيم على علم وبصيرة يريد الدعوة إلى الله، والسعي في إصلاح الخلق، وهدايتهم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ

لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فمن كان قصده الحق جودل بالتي هي أحسن، وعُلِّمَ الخير وبُيِّنَ له الصواب ولذا سأل عبد الله بن سلام النبي ﷺ عن الأسئلة الثلاثة: ما طعام أهل الجنة إذا دخلوها؟ وأين يكون الناس حين تبدل الأرض؟ وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، إلى آخره، فلما قال النبي ﷺ: «أخبرني بهما جبريل آنفا» قال: أشهد أنك رسول الله[1]، لأن الله أراد به الهداية فسأل النبي عما

(١) أخرجه مسلم(٣١٥) من حديث ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»، قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ» قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ».

يجده في التوراة، والله أطلع نبيه على ذلك كله فبينه له ﷺ فانقاد وأسلم.

وإن أصحابه الكرام كما أشار الشيخ لما خرجوا بعد موت النبي شرقاً وغرباً كانوا لا يغيرون على قوم حتى يوضحوا لهم المنهج، ويوضحوا لهم السبيل، ويرسلوا لهم وفداً يشرحون لهم ما لأجله أتوا، وما الغاية التي لأجلها قدموا، كما قالوا لملك الفرس: جئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام[1]، جئنا لننقذ البشرية من الضلال لم نأت لنسبي نساءكم، ولا لنستبيح أموالكم، ولكن جئنا لنقول لكم: هذا شرع الله، فمن قبله فهو أخونا المسلم ومن لم يرضه فليخضع لحكم الإسلام وإلا فالقتال بيننا وبينكم، فلما رأى الناس تلك الأخلاق والأعمال قبلوا الدين ودخلوا فيه عن قناعة ورضا ولم يكن السيف هو الذي أدخلهم، ولكن القناعة وسعة أفق أهل الإسلام وكثرة علمهم وعملهم، وتطابق الظاهر مع الباطن جعل الأمم جميعاً يقبلون هذا الدين لما شاهدوا حملته وما هم عليه من الخلق الجم، والسيرة النبيلة، إن الإسلام حق وعهد على الله أنهم إذا قاموا به خير قيام ونصروه بأموالهم وأعمالهم قبله الآخرون منهم، وإنما يؤتى المسلمون عندما يفرطون في واجبات الإسلام، ويستخفون بمحرمات الإسلام، ويتنازلون عن ثوابتهم، وعن قيمهم وفضائلهم، فالواجب التمسك بهذا الدين علماً وعملاً، والدعوة إليه والقيام به خير قيام.

---

(١) انظر تاريخ الطبري(٢/٤٠١) والمنتظم لابن الجوزي (٤/١٦٨).

فجزى الله الشيخ سعداً عما قال وما بيَّن خير الجزاء في هذه المحاضرة القيمة التي تميزت بالاعتدال والوسطية، وتميزت بالوضوح، وتميزت بالحق وكانت على أحسن ما يكون فجزاه الله على ما قال خيراً، ووفقنا وإياكم لكل عمل صالح، وأصلح الله قادتنا وجمع قلوبنا على الخير، وأعاذنا من الفتن ورد الله كيد الكائدين في نحورهم.

وصلى الله على نبينا محمد

* * * * *

فهـــرس الموضــوعات

الموضـــــــوع	الصفحة